الشباب اللبناني والاعلام:
التأثير الاجتماعي والسياسي

محاضرة ألقتها ماجدة أبو فاضل
مديرة معهد الصحافيين المحترفين
في الجامعة اللبنانية الأميركية - بيروت
خلال مؤتمر
"الحوار الاعلامي الألماني-العربي"
الذي نظمته وزارة الخارجية الألمانية
بالتعاون مع معهد العلاقات الثقافية الخارجية
في برلين بتاريخ ٢٩-١١-٢٠٠٤

مقدمة:

لعل أوجه التشابه بين شباب لبنان وشباب الغرب هى أكثر مما يعتقد الكثير. ويعود ذلك لطفرة القنوات الفضائية التي تعرض كما هائلا من البرامج الترفيهية و الاخبارية والوثائقية بشتى اللغات.

فما على المشاهد الا أن يتحكم عن بعد ويختار بين الموسيقى أو الرياضة أو أفلام الرعب أو المسابقات أو عدد المحطات الاخبارية التي تتزايد عاما بعد عام وأن يمضي وقته في التقلب أو ال zapping.

"كما يفصلون لنا نرتدي" و "هيك الشعب بدو". هكذا كتب المحلل اللبناني زياد الصائغ تعليقا على نظرتان مفترقتان في منتدى اعلامي تعبران عن حالة الانتاج التلفزيوني.

يتحسر الكاتب قائلا: "استعراض سياسي، استقبال اخباري وتوديع، احتراف دوبلاجي، ابداع اقتباسي، تسخيف للترفيهي، استبعاد للثقافي، قراءة متأنية في الفلكي، تسويق لل "تشتك طق طق"، لجوء الى الرياضي المكثف، ما رأيكم في كل ما سبق؟" (جريدة "التهار" صفحة الشباب، ٢٨-١٠-٢٠٠٤)

أما الصحافي السابق في جريدتي الوول ستريت جورنال ونيو يورك تايمز يوسف ابراهيم فيعلق قائلا أن الاعلام العربي يغربل الأخبار من خلال منظار الخوف، متنكرا كأنه متفق مع العرف (political correctness)، متخفيا كالتهذيب ومغلفا كتوجيهات وزارات الاعلام لتصبح الوقائع حكايات خيالية.

يعزو ابراهيم هذه الظاهرة الى ميزة مكتسبة من بيئة الاعلام، حيث أن الصحافي في منزله هو نتاج الحكم الاحادي والقوة المتوارثة ونبذ الثقافة اليموقراطية وسيطرة الرجال على النساء مما يقصي الجنس الناعم كشركاء متساوين والطريقة المهينة في تقبيل الأيادي عوض عن الاستعانة بالكفآت لتسلق السلم الاجتماعي، أو المهني.(The fear that chokes the Arab world, Youssef M. Ibrahim, International Herald Tribune, October 30, 2004)

الاعلام اللبناني:

واذا نظرنا الى القنوات التلفزيونية في لبنان نجد نشرة الأخبار الرئيسية مسائية وموجهة للمشاهدين الكبار عموما، حيث من المتوقع أن يكون الرجال والنساء العاملين قد رجعوا من أعمالهم ليشاهدونها وربما ربة المنزل لكن لا توجد احصاءات علمية عن عدد المشاهدين من الشباب وقد يرجع ذلك الأسلوب المضجر في تقديم الأخبار.

فمذيع النشرة يمضي ما لا يقل عن ربع وقته في سرد من من أهل الحكم استقبل وودع نظرائه من الدول الشقيقة وكيف تباحثوا في "الاهتمامات المشتركة" دون الخوض في خضم التفاصيل التي تهم المشاهدين وكيف السياسيين اجتمعوا ليهنئوا بعضهم البعض بالأعياد فأليس منطقيا أن يسبب ذلك حالة نفور في الشباب الذين سأموا من تجاهل صانعوا القرار للمشاكل الاقتصادية والبيئية والاجتماعية؟

فما بالكم عن الاذاعات التي تقدم كل ألوان الطيف الموسيقي، محلية كانت أو أجنبية، منثورة بين برامجها الفقرات الاخبارية المفصلة على قياس الحزب السياسي أو الجهة الدينية التي تمولها؟

أما الصحافة المكتوبة في لبنان، فهي أيضا أسيرة المصالح السياسية المحلية والاقليمية لكنها تتمتع بهامش أكبر من الحرية، اذ يستعملها الصحافيون لشن هجمات على السياسيين والحكومة أو لارضاء أهل الحكم، كل حسب الأجندة السياسية المتبعة لديها.

وهناك أيضا ظاهرة استغلال الاعلام من قبل أهل السلطة للتراشق الكلامي والتلاسن وتبادل التهم عن عدم الجدارة في ادارة شؤون البلاد أو العمالة مع من يعتبروا أعداء للأنظمة السائدة وبين الحين والآخر اعلام المواطنين بما يهمهم. لذلك نرى فقدان للمصداقية الاعلامية وشعور اللامبالاة عند الشباب في تعاطيهم مع الشأن السياسي.

تعاني الصحافة اللبنانية من قلة التأكد من المعلومة وصحتها. فالصحافيون يستعينون بأبواب لترويج الشائعات أو لتحليق ءالبالونات لتمرير الأقاويل، يسمونها "أسرار" أو "خفايا" وغيرها من المصطلحات. "ورغم كون هذه الزوايا المساحة الاعلامية الأصغر في الجريدة، فانها تشكل مجال الاستقطاب الأبرز والأكثر أهمية وجذبا" (كلفة الصح تبرز بحدة في المجتمعات الحرة وعلى الصحافي أن يضع دائما حزام الأمان الاعلامي – جورج كلاس – دراسات – النهار ٦-١٠-٢٠٠٤)

ويقول أستاذ الاعلام في الجامعة اللبنانية جورج كلاس أن غالبا ما تكون اللغة عائقا دون عملية التحقق من صحة الخبر، خصوصا عندما يجهل الصحافي التكلم والكتابة بلغة معينة. وهنا أود

الاشارة الى رداءة الكثير من النصوص المترجمة مما يزيد الأمور تفاقما في التعاطي مع الأخبار والاختلافات في الرؤى السياسية.

لكن الحق يقال، ومن الناحية الايجابية، نرى أن فئات من الشباب منهمك في قضايا مصيرية مثل حقوق الانسان وشؤون البيئة ومساعدة الشرائح الاجتماعية التي تعاني من حال الكساد الاقتصادي الذي يمر فيه لبنان منذ عدة أعوام وان لم يكن يحظو بالتغطية الاعلامية الشاملة التي يتمتع بها أهل السياسة و النفوذ.

والجدير بالذكر أن رغم المضايقات القضائية والسلطوية وأحيانا المالية التي تتعرض لها وسائل الاعلام، يستطيع الشباب اللبناني الحصول على المعلومات والأخبار بدون العوائق الموجودة في دول عربية أخرى.

فعلى سبيل المثال، تفتح الفضائيات العربية والأجنبية آفاقا لتوفير ما قد لا ينشر أو يذاع بكل تفاصيله في الاعلام المحلي. أما الانترنت، فيكمل الصورة ح يتصفح الشباب مواقع لا تحصى تقرب العالم ، أو غيرها من (chat rooms)منه وتمكنه من التواصل عبر البريد الالكتروني أو غرف التحادث وسائل الاتصال.

ولئلا لا ننسى أهمية الهاتف الجوال، نرى سوق مستهلكي الهواتف الخليوية يكبر بشك مستمر في لبنان فتستعمل هذه الوسيلة للتخابر والحصول على الأخبار بطريقة رسائل ال SMS.والتصوير

يتوقع أن يزداد مستعملي الهواتف الجوالة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ليتعدوا ٧٠ مليون شخص في السنوات الخمس المقبلة، ليخلقوا من أسرع الأسواق نموا في العالم والأكثر مربحة. (Growing Mideast market ripe for cell phone firms, The Daily Star, October 25, 2004)

يتعرض الشباب اللبناني لآخر الصرعات السينمائية، وان تأخرت بعض الأشهر من وقت صدورها في بلاد المنشأ (مثل هوليوود)، لكنه يحصل على آخر التسجيلات الموسيقية والأفلام على اللأقراص المقرصنة لكون النسخات الأصلية غالية وخارج نطاق الميزانية.(CD-ROM & DVD)المدمجة

هذا ينطبق كذلك على برامج الكمبيوتر التي تباع بأسعار زهيدة في متاجر القراصنة لأن كلفة الأصليات لا يتحملها الطالب الجامعي العادي الذي يعاني من وطأة أثقال المصاريف اليومية، ناهيك عن ما يعتبره البعض كماليات مثل أجهزة الحاسوب الآلي.

وما قد يساعد في تحمل أعباء العولمة وجود مقاهي الكترونية في جميع أنحاء البلاد حتى لا يتكلف ذوي الدخل المحدود مصاريف اقتناء هذه الأجهزة التي تتطلب مواكبة العصر بصفة مستديمة.

البرامج والملاحق الشبابية:

اذا حللنا البرامج الشبابية في التلفزيون اللبناني نراها شبه غائبة، فعلى سبيل المثال هناك شح فاضح للبرامج السياسية والشبابية في "تلفزيون لبنان" الرسمي، يرجع ذلك لقلة الامكانيات وللاتجاه المعلب

الحكومي. أما المحطات الخاصة، فهي تهتم ببرامج شبابية تعالج المشكلات التربوية والاجتماعية مع تفاوت ملحوظ في القضايا السياسية المصيرية التي يتمنى الشباب اثارتها بصراحة ومباشرة، على حد قول روزيت فاضل في تحليل للشباب اللبناني والتلفزيون. (الشباب اللبناني والتلفزيون -٣- صفحة تربية/شباب، جريدة النهار، ٢٩-١١-٢٠٠٤)

تعترف مديرة دائرة البرامج في تلفزيون المستقبل" المملوك من رئيس الوزراء السابق رفيق الحريري أن البرامج السياسية تقتصر على الأخبار وبرنامج سياسي واحد موجه لجميع المشاهدين. لكن القناة "نجحت في تفعيل عمل دائرة متخصصة لحملات التوعية التي تستهدف بنسبة كبيرة الشباب". (الشباب اللبناني والتلفزيون -٣- صفحة تربية/شباب، جريدة النهار، ٢٩-١١-٢٠٠٤)

الا أن مضمون البرامج ال"شبابية" تركز على الترفيه والتسلية، مثل سباقات الفورمولا واحد وكرة السلة وكرة القدم ومسابقات المواهب مثل "سوبر ستار"، ومسابقات الذكاء والمعلومات العامة والموسيقى على شتى أنواعها.

و"تلفزيون الجديد" المملوك من رجل أعمال ينافس السيد حريري سياسيا يعتمد على قاعدة الترفيه والقواعد التربوية والفيديو كليب والرياضة وحملات التوعية. الا أن برنامج تطرح فيه مشكلات تهم الشباب وقضايا مثيرة للجدل مثل التجنيد الاجباري توقف بعد أربع حلقات فقط "لأسباب خاصة" لم تحدد، حسبما قالت مديرة البرامج. (الشباب اللبناني والتلفزيون -٣- صفحة تربية/شباب، جريدة النهار، ٢٩-١١-٢٠٠٤)

وانبثقت من القناة محطة أخرى اسمها "زين" كان توجهها الشباب، فأسست لهم نشرة أخبار خاصة تعتمد السرعة وتقديم وانتاج مختلفين عن باقي النشرات وهيء لها استوديو بديكور "كوول"، حيث المقدمين والمراسلين من الشباب، يتحدثوا بلغة تقربهم لزملائهم السباب. لكن النشرة فشلت في استقطاب العدد المطلوب من المشاهدين، وفشلت برامج أخرى على هذه القناة، مثل ال"توك شو"، فأضطرت الادارة الى اعدة النظر في تصميم البرامج وقررت اعتماد نوعية الأغاني المسجلة، أو الفيديو كليب.

أما "تلفزيون ال بي سي" الأكثر شهرة التي أسستها ميليشيا مسيحية خلال الحرب اللبنانية ويملكها رجال أعمال وسياسيين و الأمير الوليد بن طلال في شقها الفضائي، فيقدم برامج "توك شو" تتطرق لموضوعات ساخنة وتستضيف سياسيين ومفكرين وحتى شباب لمعالجة هذه الأمور لكنها لا تكرس برامج سياسية فقط للشباب، الا نادرا.

لكن المحطة الذكورة أعلاه هي دائما السباقة في تقديم البرامج الترفيهية والموسيقية والمسلسلات المدبلجة والمغامرات مثل النسخة العربية لبرنامج "سورفايفور" الذي صور هذا العام في كينيا.

"لا تخصص محطة "ان بي ان" الاخبارية (المملوكة من رئيس مجلس النواب نبيه بري) برامج للشباب بل تعتبر ان برامجها المنوعة تعني جميع فئات المجتمع وتقارب بمضمونها واقع الشباب اللبناني والعربي".
(الشباب اللبناني والتلفزيون-٤-صفحة تربية/شباب، جريدة النهار، ٣٠-١١-٢٠٠٤)

و"تلفزيون المنار" المملوك من حزب الله يركز على أهداف تربوية واجتماعية وسياسية. ويقول مدير البرامج العامة ان اعداد أي برنامج شبابي يجب أن يرتكز على مبدأ الحوار مع الآخر في الشارع اللبناني بتعدد طوائفه ومناطقه.

تتولى هذه البرامج معالجة شؤون الرياضة والمسابقات والمسائل الاجتماعية مرورا بالبرامج الدينية. (الشباب اللبناني والتلفزيون-٤-صفحة تربية/شباب، جريدة النهار، ٣٠-١١-٢٠٠٤)

أما "تيلي لوميار" التابعة للكنيسة، فهي تخصص مساحة كبيرة للشباب تصل الى ٤٠ في المئة من البرامج الاسبوعية وتركز على مختلف الصعد الروحية والثقافية والاجتماعية والرياضية وتقدم مضمون ارشادي وتوجيهي. (الشباب اللبناني والتلفزيون-٤-صفحة تربية/شباب، جريدة النهار، ٣٠-١١-٢٠٠٤)

لكن بحكم الترخيص المعطي للقناة، لا تعالج القضايا السياسية، فلا تروج لحزب أو عقيدة لكن تتعاطي الشأن العام تحت غطاء الكنيسة.

أما بالنسبة للترفيه المتلفز، فهناك برامج لا تحصي تروج للغناء والرقص وابراز مفاتن الأجساد للجنسين اللطيف والخشن. وفي لبنان طغى الجسد في معظم وسائل الاعلام فأنقسمت الآراء بين مؤيدين وعارضين، حسبما كتب أحمد أبو مرعي في تحليل عن الشباب اللبناني والتلفزيون.

ويقول أبو مرعي أن بين هذا وذاك "يبقى هناك صور أخرى للجسد على التلفزيون، قد لا تندرج في هذه الثنائية. فهناك الأجساد المقاومة والمقطعة أشلاؤها والحية والميتة الخ..." (الشباب اللبناني والتلفزيون – ٥ – النهار – تربية/شباب – ٣-١١-٢٠٠٤)

ولزيادة صورة الجمهور المنسجم الكثيف مصداقية، يستأجر منتجي برامج المنوعات شبابا للتصفيق وتشجيع المطربين في المسابقات أو المشتركين في الألعاب.

تفرض شروط على هؤلاء المراهقين وطلاب الجامعات أن يكونوا أجساما آلية يحركها مدير المسرح مقابل بدلات مالية زهيدة تساعدهم في الضائقة وتوفر لهم فرصة للخروج من محيطهم السكني المقفل وفقرهم وتمنياتهم للحصول على وظائف جيدة، ربما في مجال الاعلام. (جمهور استوديوهات البرامج التلفزيونية: مزقفاتية بأجر زهيد...وازعاج – السفير – شباب – ٢٠-١٠-٢٠٠٤)

من المؤسف أن تشابه البرامج الترفيهية والاخبارية يدل على قلة الابداع وكثرة التقليد. فمضمون والتقنيات التى تلهي المشاهدين (visual effects)ال"فيديو كليب" يعتمد على التأثيرات البصرية عن المضمون المبتذل. فالانتاج يحتاج الى ميزانية والبرامج الوثائقية والتحقيقات الميدانية مكلفة ولا تغطي مصاريفها بالكامل مثل الاعلانات التي تحول الأبصار للسلع الاستهلاكية التي يرتديها أو يشتريها الشباب من رواد البرامج الترفيهية.

يرجع ذلك الى وجود أكثر من ٢٠٠ قناة تلفزيونية في السوق الاعلامي العربي لكن العائدات الاعلانية فيها تقدر بما لا يزيد على ١،٢ مليار دولار كون حوالي نصفها قنوات عامة، أي مملوكة

من الدولة. (دراسة عن السوق التلفزيونية في الشرق الأوسط أجرتها شركة "بوز ألن هاميلتون" في دبي – السفير – صوت وصورة – ٢٨-٩-٢٠٠٤)

وجه توفيق عكو انتقادا لاذعا لقنوات التلفزيون اللبنانية متهما اياها بالترويج للانحطاط الفكري. ففي مقال تحليلي قال أن الشباب يمضون ساعات في مشاهدة "تلفزيون الحقيقة" ولكن تنفرهم الأخبار لما أسماه ببراعتها في اغلاق آفاق الغد.

ويضيف: "ما عدا النادر النادر من برامج لا تحتاج كل أصابع اليد لعدها، لم أعرف مؤسسات احتكرت انتاج البلادة والتسلية المبتذلة وتسطيح العقل البشري كالتلفزيونات في لبنان بعد انتهاء الحرب." (الشباب اللبناني والتلفزيون – ٧ – تربية/شباب – النهار – ٥-١١-٢٠٠٤)

أما روزيت فاضل، فتكتب في جريدة النهار أن مقبرة العرب هي عجزهم عن التغيير، "لأن الأمة العربية لا يتحقق فيها التغيير الا نحو الأسوأ، أو حتى نرضخ لملذات وأهواء "غريبة عجيبة" نستوردها من الخارج وتنزل كالصاعقة على عقولنا وحياتنا." (الهز والفز في ال"توب تن" اللبناني النهار – تربية/شباب – ١٣-١٠-٢٠٠٤)

يقول غسان رزق عن ظاهرة ال"فيديو كليب" العربي أن النقاد في عدة دول عربية لاحظوا أن الأجواء التي تصور فيها الأشرطة الغنائية تفيض بالثراء، على نحو يتناقض مع عالم عربي تعيش أكثريته الساحقة معاناة يومية اجتماعية وأقتصادية.

ويضيف أن عامل الاثارة في الأجساد النسائية يقابله الواقع الأليم لثقافة عربية تضطهد حرية المرأة بقوة. (صناع أجساد نسائية حرة، ومزاج المراهقة، وأشياء أخرى..- السفير – صوت وصورة – ٢١-٩-٢٠٠٤)

اذا هل يمكن اعتبار أن التلفزيون في لبنان تحول من اداة تثقيف وتسلية الى مروج للعنف والجنس والمفاهيم المشوهة، كما ظهر في عنوان تحقيق صحفي؟ نعم، حسب قول الخبير العلامي والاعلاني رمزي نجار الذي وصف حال التلفزيون بأنه يعاني من "ارتجال مطلق"، واتهمه بغياب التخطيط وانعدام الرؤية. (تالا صباغ ياغي- النهار – تحقيق – ٣٠-٩-٢٠٠٤)

فظاهرة الأغنية السريعة كوجبة ماكدونالد وبرامج صنع النجومية ك"سوبر ستار" و"ستار أكاديمي" اكتسحت الساحة الشبابية وأصبحت لها شعبية تضاهي كل ما ثوارثناه من قبل في مجتمع "لا تتراكم الأغاني في ذاكرته بل تمحو الجديدة القديمة، وهكذا." (هل صار للأغنية السريعة مجتمع وتقاليد؟ حسين حمزة – الحياة – ١٨-٩-٢٠٠٤)

الجدير بالذكر أن الوجود الشبابي على الشاشات المحلية ازداد في الأعوام الماضية، لا سيما على نشرات الأخبار، فنرى وجوه جديدة تغطي الأخبار وتنتجها وتعدها. وكما هي الحال في الاعلام الغربي، يطمح الشباب الى الشهرة والاطلالة، لكن محدودية سوق العمل يجعل الجيل الجديد من الصحافيين يبحث عن الوظائف في دول الخليج العربي أو الغرب، اذا أتيحت له الفرصة.

وازدياد الوجوه الشابة والمواد الشبابية لا تعني بالضرورة التمكن من الموضوع أو الاحتراف المهني الاعلامي لأن الامكانيات لا تسمح بالتدريب الكاف في المؤسسات الاعلامية أو حتى في الكثير من الجامعات اللبنانية، لا سيما الرسمية منها.

وبالنسبة للصحافة المكتوبة، فجريدة "النهار" كانت السباقة في معالجة شؤون الجيل الناشيء وتلتها عدة جرائد مثل "السفير" و"المستقبل" و"الحياة" وغيرها. وحسب نشرة "عمان نت" الأردنية، الملاحق الشبابية في الجرائد اللبنانية لا يتعدى عمرها العقد.

ويشير التقرير الى أن أول ملحق لل"نهار" سمي "هايد بارك" نسبة للحديقة اللندنية التي يقصدها كل من أراد ابداء رأيه بحرية وتغير اسمها لاحقا الى "ملحق الشباب"، واسند اعدادها واخراجها الى الشباب. الا أن بعض الصحف الأخرى حددت مجال التحرير للصحافيين المحترفين فكان التفاوت بين الجرائد في تقديمها للمادة الشبابية.

خصصت الجرائد صفحات للشباب بعد انتهاء الحرب اللبنانية حيث أن الانشغال الاعلامي خلال ال١٥ سنة المؤلمة من التاريخ اللبناني كان على المعارك والسياسة والأحزاب والميليشيات.

يذكر أن خلال الحرب "لاأهلية" اللبنانية صدرت ٨٨ صحيفة ونشرة بين يومية وأسبوعية وفصلية في كل من بيروت الغربية (التي لقبها الاعلام الغربي ب"المسلمة") وبيروت الشرقية (التي عرفت بالشطر "المسيحي").

كيف أثرت هذه الصحافة على اللبنانيون، بما فيهم الشباب؟

"صحف الحرب كانت على مثال الحرب، أباحت لنفسها، من جملة ما أباحت، الكذب، وتلفيق المؤامرات، والاستعانة بالخارج، وغير ذلك من الوسائل والأشكال البعيدة عن المهنية، ولم تبخل البتة في توفير ما يلبي احتياجات وطموحات الحرب." (صور الحروب اللبنانية في مرايا صحفها الكثيرة – ١ – نجيب نصر الله – صدى البلد – ٤-١١-٢٠٠٤)

ورسخت هذه الصحف "الحربية" الاختلافات الدينية والطائفية والحزبية وحثت على التحريض والتباغض وكان أن نشأت صحافة غير قانونية في المكتوب والمرئي والمسموع أتاح الفرصة بعد الحرب لنشوء اعلام غير رسمي أصبح فيما بعد خاص وتجاري، وان كانت العديد من وسائله لا زالت محسوبة على الأحزاب السياسية والميليشيات السابقة من زمن الحرب.

زد على ذلك أن الصحافة اللبنانية خسرت خلال وبعد الحرب سوقها العربية لأن الكثير من الصحافيين ودور النشر نقلوا أعمالهم الى الخليج وعدة دول أوروبية وأصبحوا بذلك منافسين لوسائل الاعلام المحلية التي لطالما عرفت كأبواق للأنظمة العربية والأجنبية على كافة أشكالها.

ثم ان الصحافة التقليدية وجدت منافسا في المطبوعات التي أصبحت تجذب الشباب بصورها وألوانها وأخبارها "الخفيفة" عن المشاهير والرياضيين والثياب والصرعات الالكترونية. ثم ان انتشار قنوات التلفزة المحلية والأجنبية عبر الصحون اللاقطة والكابل والاذاعات المتعددة ساهمت في تقزيم الصحافة المكتوبة وتقليص حصتها من الاعلانات ومن القراء.

ويقول حازم الأمين، مسؤول صفحة الشباب في جريدة "الحياة"، في التقرير الذي أوردته "عمان نت" أن الصحافة الشبابية في لبنان لا زالت في المرحلة التأسيسية وتخضع للتجارب ولا تزال متعثرة.

أما ديانا مقلد التي كانت مشرفة على نشرة أخبار "زين" على "تلفزيون المستقبل"، فرأيها أن فشل القناة يرجع الى أن اهتمامات الشباب العربي لم تدرس جيدا قبل انطلاق المحطة.

وأضافت: "وهذا الفشل، اذا صح التعبير، يعكس حال الارباك التي يعيشها الاعلام العربي عموما حيال هذه الفئة الكبيرة التي ليس محسوبا حسابها أكان في السياسة أو الحرية." (الصحافة الشبابية في عدد من الدول العربية: تجارب لم تبلغ غايتها المرجوة وان حققت خروقا، النهار – تربية/شباب، ١٤-٩-٢٠٠٤)

الجدير بالذكر أن المصالح المشتركة بين الصحافة والسياسة في لبنان قد تكون أسهمت في تفاقم حال الارباك، فرجال السياسة الكبار هم أيضا أكبر المساهمين في وسائل الاعلام، ومن لايملك جريدة أو محطة تلفزيون يحاول دوما امتلاك الصحافيين من خلال الهدايا والرشاوى وغيرها من مظاهر التضارب في المصالح وعدم أخلاقيات مهنة المتاعب.

تحدد نهوند القادري عيسى في بحث مفصل العوامل التي أثرت على الصحافة، فمنها المادية وافتقار الاعلام للموارد المتوفرة لغيرها في الخليج والغرب، والسياسة، والمهنة بحد ذاتها، والتقنيات.

وبالنسبة للسياسة، تقول الباحثة ان الصحافة المكتوبة فشلت في لعب دورا فاعلا لأنها انحازت الى المسؤولين السياسيين على حساب منظمات المجتمع المدني.

وتضيف: "واجتماعيا لم تتمكن من دفع المواطنين ليكونوا معنيين بما يحصل. ولم تتمكن من دفع الملل عنهم أو من انقاذهم من لا مبالاتهم، تحاول جاهدة استقطاب الشباب وان بقيت منحازة لهم على حساب الشابات. " (الصحافة المكتوبة في ظل التحولات الراهنة: لبنان نموذجا – ٢ – نهوند القادري عيسى - النهار – قضايا النهار – ٣-١٠-٢٠٠٤)

ربما هذا يفسر اتجاه الشباب الى وسائل ومصادر أخبار مختلفة مثل البريد الالكتروني وغرف الدردشة ومواقعهم الخاصة على الانترنت ومواقع ال "بلوغرز" (نسبة لكتاب جداول وسيرات على صفحات الكترونية).

لقد جذب هذا النشاط الشباب اللبناني ليعبر عن أرآئه ويتواصل مع غيره ويعلق على القضايا المطروحة بأسلوب غير محدود بقواعد اللغة والتحرير الصحافي والقيود السياسية، وبهذا تكون صفحة البلوغ أقرب الى الجريدة الالكترونية. (نشاط جذب آلاف الشباب في لبنان...فتواصلوا عبر صفحات "بلوغ" – منال أبوعبس – الحياة – انترنت – ٤-١٠-٢٠٠٤)

الشباب اللبناني والنظرة الغربية:

"في أي دولة، عندما تكون الدولة شريكا أساسيا أو عن بعد في مؤسسة اعلامية، لا أمل في أن تجري اللعبة الاعلامية الليبرالية على أصولها". هذا ما كتبه أستاذ الاعلام والمحلل اللبناني جان كرم.

وأضاف أن "لا أمل في اعتبار الدولة مهما كانت ليبرالية أو منفتحة أو متفهمة وديموقراطية قادرة على التخلي عن دورها السلطوي الفوقي، خاصة عندما تشعر بأن خططها السياسية أو الاقتصادية أو الدبلوماسية او غيرها مهددة بالشطحات التعبيرية المشروعة لدى كل صحافي." (دنيا الاعلام في غليان – جان كرم – حبر وأقمار – النهار – ٢٩-١٠-٢٠٠٤)

اذا ما يمكن أن يتوقعه الشباب حينما تفقد المصداقية الاعلامية والسياسية ويتوارى الاحتراف الصحفي عن الأنظار؟

تقول نهوند القادري عيسى أنه في عصر الاتصال، أصبح للسلطات الاقتصادية والسياسية القدرات لفرض قراءتها للأحداث وان الجرائد غير قادرة على التصدي لها.

تعتقد عيسى ان في عصر الاحباط واللامبالاة المستقبل هو للصحافة النوعية غير المستسهلة والصحافة ذات البنية المؤسساتية المرنة، المجددة لدمها، العاملة على رفع مستوى العاملين لديها لتحسين أدائهم واعادة تأهيلهم بشكل منتظم.

"باختصار، صحافتنا المكتوبة بحاجة الى أن تتحول الى مدرسة للصحافة الجديدة، ولن تستعيد بريقها الا اذا استقطبت أهل الرأي والفكر والمثقفين وكانت بمثابة مساحة لنقاشاتهم..." (الصحافة المكتوبة في ظل التحولات الراهنة: لبنان نموذجا – ٢ – نهوند القادري عيسى - النهار – قضايا النهار – ٣-١٠-٢٠٠٤)

لكن في ظل التغطية الاعلامية التي تركز على العنف والديماغوجية، ما هو مفهومنا للموضوعية؟ كيف يتعاطى الشباب مع الاعلام المسيس في بلده وفي الخارج حيث انتقاء الأخبار بحد ذاته يقرر أهميتها والمفردات المتداولة تحدد هوية المتلقي للأنباء.

فمثلا، اذا ارتدى الشباب اللبناني، أو العربي عموما، غطاء رأس معين هل يشار اليه في الغرب على انه ارهابي ملثم، حتي لو كان قصده التدفئة أو الحماية من الشمس أو التعبير عن كيانه؟ المؤسف ان التعابير المستعملة اعلاميا تركز على شرائط الملثمين وكليبات الحسناوات ولا تعطي القدر الكاف للشباب أن يعدلوا الصور النمطية عنهم.

هل المعايير ذاتها في التعريف عن السياسة والدين والديموقراطية وحرية الصحافة والحقيقة والثقافة والمجتمع؟

تشير منى فياض في مقال عن طاولة مستديرة عقدت في معرض فرانكفورت للكتاب ان أحد المشاركين لفت نظر الحضور الى أن الفصل بين الين والدولة موجود على صعيد الدساتير في الدول العربية وطرح السؤال: لماذا حين نتكلم عن بلان الشرق الأوسط نتكلم عن بلدان اسلامية؟ اليس

الأولى أن نشير اليها جغرافيا كما نفعل مع أوروبا؟ أي الغرب والشرق الأوسط، وليس الغرب والبلدان الاسلامية؟ (آراء حول "التابوات" بين العالمين الغربي والعربي...- منى فياض – الحياة – ٢٩-١٠-٢٠٠٤)

من منا لم يرى الأقاويل الصادرة عن مسؤلين أميركيين خلال فترة رئاسة السيد جورج بوش وبعد اعادة انتخابه عن جدية التعاطي مع عملية السلام في الشرق الأوسط والاصلاح الدمقرطة والتحديث؟ الا أن وسائل الاعلام اللبنانية والعربية والأوروبية ما لبثت أن أشارت الى ازدواج المفاهيم بين ما يقال وما يطبق.

حتي الصحافة الأميريكية التي انساقت في البداية وراء المسؤولين في شن الحرب على هذا البلد أو ذاك، عادت لتنقد نفسها وتعيد النظر في رسالتها.

وهنا لاشك في أن التقارير والتحاليل المتضاربة على الساحة الاعلامية الأجنبية تؤثر سلبا على الشباب اللبناني الذي اعتاد على التمويه والضبابية في تناقل المعلومات على الصعيد المحلى واعتقد أن بلاد ديموقراطية تشرع لحرية الصحافة ستساعده على تكوين آراءه السياسية.

"الصحافة في أميركا هي الخط الأمامي في معركة الحقيقة" كما قالت هيلين توماس، عميدة المراسلين الذين يغطون البيت الأبيض. وأضافت توماس، اللبنانية الأصل، في نقد حاد لتصرف الاعلام الأميركي خلال ومنذ حربي أفغانستان والعراق، أن فشل الصحافة في تقصي الأخبار وعدم مطالبة السلطة السياسية بالشفافية والمحاسبة أفقد الاعلام مصداقيته في التعاطي مع الأنباء وشكك القرآء والمشاهدين والمستمعين في صحة ما يقال علي الصعيد الرسمي. ("فشلت الصحافة في محاسبة البيت الأبيض" – محاضرة القتها هيلين توماس في مركز الحوارفي ولاية فرجينيا خارج واشنطن).

يتأثر الشباب اللبناني، كما هي الحال للشباب العربي بما يراه ويسمعه ويتصفحه في شتى وسائل الاعلام.

يجب استعمال تعابير دقيقة في معالجتنا للأخبار، لا سيما السياسية منها، لأن أطفالنا وشبابنا يتأثرون بردود أفعالنا ويساهموا بذلك في استمرارية الصور النمطية المؤذية التي تعيق الحوار العقلاني بين الحضارات.

قام جيمس زغبي، رئيس المعهد العربي الأميركي في واشنطن، بدراسة مقارنة الكريكاتورات السياسية ونماذج أخرى من الثقافة الشعبية في تصوير اليهود في حقبة الامبراطورية الروسية والمانيا ما قبل الفترة النازية و تصوير العرب في الولايات المتحدة في الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي. فوجد زغبي أن من ناحية الشكل والمضمون المعالجة متشابهة. فالتصوير الروسي والألماني لليهود كان موازيا لتصوير العرب في الكاريكاتورات الأميريكية. التاجر أو صاحب المصرف اليهودي البشع البدين أستبدل لاحقا بالشيخ العربي الذي يملك آبار النفط، وصور الارهابيين العرب واليهود أختلفت فقط في الثياب التي يرتدونها.
(The OSCE Conference and the Two Anti-Semitisms, Washington Watch, May 3, 2004, Dr. James J. Zogby).

حذر زغبي من أن سوء تصوير العرب والاسلام ينبع ليس فقط من الجهل ولكن من ما يروج له على أنه معرفة. ف "الخبراء" في شؤون الاسلام أو الشرق الأوسط أو العرب نادرا ما يكونوا عربا أو مسلمين أو يتحدثوا اللغة العربية أو يسكنوا الدول العربية ويختلطوا بأهلها وشعوبها.

ونرى أن كثير ممن يدعوا الخبرة هم أتباع أيديولوجيات مناهضة للاسلام و العرب فيركزون على المساويء ويتجاهلون الحسنات وقد استبدلوا "الخوف الأحمر" (أي الشيوعية) ب "الرعب الأخضر" (نسبة للاسلام).

تكرس الثقافة الشعبية الصور النمطية لدرجة أن الادراك الحسي يصبح واقعا و"الواقع" المختلق يتحول لحقيقة في وسائل المكتوب والمرئي والمسموع والمتفاعل.

وجاء تحذير آخر عن تفاقم الأوضاع من الرئيس الباكستاني عندما أشار الى الجرح المفتوح في الوجدان الاسلامي وهو فلسطين وأن رغم بعض النجاح في مكافحة الارهاب، تكمن الخطورة في الهزيمة اذا لم يجند العالم لمكافحة الظلم في العالم الاسلامي.
(Legacy of U.S. incompetence: The rise of an Islamic iron curtain, H.D.S. Greenway, International Herald Tribune, October 9-10, 2004)

وكتب الكاتب اتش دي اس غرينوي الذي نقل حديث الرئيس برويز مشرف الى أن الأخير طالب بتحرك سريع قبل سدول الستار الحديدي بين الغرب والعالم الاسلامي. وبالسخرية القدر أن نتحدث عن الستار الحديدي في مدينة برلين التي عانت لمدة عقود من الانقسام المر.

ماذا يحدث للمصلحين في العالم العربي التواقين للتغيير والتحديث؟ كيف يتعاطى الشباب مع التأثير الاجتماعي والسياسي للاعلام؟ هل ستسنح لهم الفرصة لابداء أرآئهم وتنفيذ مشاريعهم الاصلاحية لبناء أوطان أفضل ولمواكبة متطلبات العولمة في القرن الحادي والعشرين؟

تقول ايمي هوثورن، رئيسة تحرير "نشرة الاصلاح العربي" في مؤسسة كارنغي للسلام العالمي أن ناشطي حقوق الانسان والمجتمع المدني في الدول العربية ينقسمون الى أقلية تطالب بالتدخل الخارجي لاحداث تغيرات، وأقلية أخرى تعتبر الولايات المتحدة ومناصريها أعداء، وأكثرية تسعى للاصلاح لكن بطريقة معتدلة دون العنجهية و التعجرف والهيمنة في طريقة المطالبة بحقوق الانسان و الديموقراطية، خاصة لما هو معروف عن تأييد الولايات المتحدة للأنظمة الديكتاتورية في المنطقة العربية.
(Is U.S. “Beacon of Hope” or Enemy No. 1 to Arab Reformers? Interview with Amy Hawthorne, October 19, 2004, Council on Foreign Relations, http://www.cfr.org/pub7464/bernard_gwertzman_amy_w_hawthorne/arab_specialist_hawthorne_is_us_beacon_of_hope_or_enemy_no_1_to_arab_reformers.php)

أما الشباب فيترجم المطالبة بحرية الصحافة وحقوق الانسان من قبل الغرب على أنها غير جدية، سيما والممارسة الفعلية هي عكس ذلك في بلاد الغربة حيث الشبهات تحوم حول ذوي البشرات

السمراء وكل من لا يرتدي ثياب معولمة أو من يتحدث بلغة "غريبة" أومن يمارس طقوس دينية مختلفة.

اذا كان المطلوب التحلي بسمة التسامح لمحادثة وتقبل وفهم "الآخر"، فيجب أن تطبق هذه المفاهيم على الجميع، وليس انتقائيا. اذا أردنا تشجيع الحوار بين الحضارات, علينا تعليم شبابنا التحلي بالصبر في مخاطبة من يختلفون معهم في الرأي وتقبل هذه الاختلافات دون الانجرار وراء التعنت والتمسك بأفكار نمطية وأحكام مسبقة ودون الازدواجية في المعايير.

يقول المحلل يوسف ابراهيم أن الخوف من التغير ليس مستحب أو مناسبا، فالعالم العربي والاسلامي يتعرض لتحولات ضخمة وعليه أن يتأقلم معها.

ويشير ثيودور قطوف، السفير الأميركي السابق والمدير الحالي لمؤسسة "أميديست"، في جلسة استماع للجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الأميريكي أن التعليم الليبرالي هو الحل الأفضل لالهام جيل جديد في العالم العربي الاسلامي.

ويشدد قطوف على أهمية ذهاب طلاب وباحثين أميركيين الى العالم العربي سعيا الى دراسة وفهم اللغة والثقافة والخلفية السياسية ويضيف: "ان القشل في ذلك قد يقتلنا."

التوصيات:
وهنا أود الاشارة الى ما يسمى في الغرب بمحو الأمية الاعلامية وأهمية ادراك الاستعمال والاستغلال لوسائل الاعلام وكيف يمكن للشباب أن يحصلوا على المعلومات وأن يحللوها وأن يفهموا من يروج لها والأسباب وراء نشرها أو اذاعتها وأن يساهم فهمهم على مشاركتهم في الحياة السياسية والثقافية لبلادهم.

ماجدة أبو فاضل، لخمسة وعشرين عاما صحافية مخضرمة عملت في المؤسسات الاخبارية الدولية في واشنطن والشرق الأوسط وهي الآن مديرة معهد الصحافيين المحترفين ومديرة المطبوعات في الجامعة اللبنانية الأميركية.

Magda Abu-Fadil
Director, Institute for Professional Journalists
Director, University Publications
Lebanese American University
P.O. Box 13-5053
Chouran Beirut 1102 2801
Lebanon
Tel: (01) 786456 x. 1273
Fax: (01) 867098

Email: mafadil@lau.edu.lb
ipj@lau.edu.lb
http://ipj.lau.edu.lb
www.lau.edu.lb